

خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ الْقَادِمَةِ (النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ بَيْنَ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ) د. مُحَمَّدٌ حِرْزٌ بِتَارِيخِ ٢٢ شَوَّالِ ١٤٤٧ هـ / ١٠ اِبْرَيْلِ ٢٠٢٦ م

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْشَأَ وَبَرَأَ ، وَخَلَقَ الْمَاءَ وَالشَّرَى ، وَأَبْدَعَ كُلَّ شَيْءٍ وَذَرَأَ ، لَا يَغِيبُ عَنْ بَصَرِهِ دَيْبُ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ إِذَا سَرَى ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَبَّ الْمَاءَ صَبًّا ، وَشَقَّ الْأَرْضَ شَقًّا ، وَأَنْبَتَ فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ... فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي أَيُّهَا الْأَخْيَارُ بِتَقْوَى الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢) عِبَادَ اللَّهِ: ((النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ بَيْنَ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ)) بَلْ إِنْ شِئْتَ فَقُلْ: الْفَهْمُ الصَّحِيحُ عِبَادَ اللَّهِ عُنْوَانٌ وَزَارَتِنَا وَعُنْوَانُ خُطْبَتِنَا.

عَنَاصِرُ اللَّقَاءِ:

- ❖ **أَوَّلًا: الْفَهْمُ الْفَهْمُ عِبَادَ اللَّهِ!!**
- ❖ **ثَانِيًا: الْخَطَرُ الْخَطَرُ مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ عِبَادَ اللَّهِ!!!**
- ❖ **ثَالِثًا وَأَخِيرًا: الْإِحْتِكَارُ وَتَجَارُ الْأَزْمَاتِ.**

أَيُّهَا السَّادَةُ: يَدَايِي، مَا أَحْوَجَنَا فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ الْمَعْدُودَةِ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُنَا عَنْ: ((النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ بَيْنَ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ))، بَلْ إِنْ شِئْتَ فَقُلْ: الْفَهْمُ الصَّحِيحُ عِبَادَ اللَّهِ وَعَنْ خُطُورَةِ الْإِحْتِكَارِ، خَاصَّةً فِي زَمَنِ الْأَزْمَاتِ وَالنَّكَبَاتِ وَالْحَزُوبِ الدَّائِرَةِ، وَانْتِشَارِ الْإِشَاعَاتِ، وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ الَّتِي تَنْشُرُ الْأَخْبَارَ كَانْتِشَارِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ؛ فَتَاهَتِ الْعُقُولُ، وَتَغَيَّرَتِ الْمَفَاهِيمُ، وَانْتَشَرَ سُوءُ الْفَهْمِ وَسُوءُ التَّأْوِيلِ لِلنُّصُوصِ، وَظَهَرَتْ طَوَائِفُ وَفِرْقٌ تَلْوِي أَعْنَاقِ النُّصُوصِ لِيَا خَطِيرًا مُخَالِفًا لَهَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَخَاصَّةً فِي زَمَنِ انْتِشَارِ فِيهِ الشُّبُهَاتِ كَانْتِشَارِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ، بِسَبَبِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ؛ فَانْتَشَرَتْ مَوَاقِعُ الشُّبُهَاتِ وَمَوَاقِعُ الشُّهَوَاتِ، وَوَقَعَ الْكَثِيرُ مِنْ أُنْبَانِنَا فِي فِتَنِ الشُّبُهَاتِ وَمَوَاقِعِ الْإِلْحَادِ، وَضَلَّ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ بِسَبَبِ قَلَّةِ الْوَعْيِ وَقَلَّةِ الْفَهْمِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَخَاصَّةً أَنَّ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ قُرْآنِ كَرِيمٍ وَسُنَّةِ نَبَوِيَّةٍ؛ هِيَ النُّورُ الَّذِي يَهْدِي الْعُقُولَ، وَالْمِيزَانُ الَّذِي تُضَبِّطُ بِهِ حَيَاةَ النَّاسِ، غَيْرَ أَنَّ الْإِنْتِفَاعَ بِهَا لَا يَتَحَقَّقُ بِمَجَرَّدِ قِرَاءَتِهَا، بَلْ يَوْجِبُ فَهْمَهَا عَلَى مُرَادِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَفَقَّ مِنْهَجِ عِلْمِيٍّ رَاسِيخٍ، وَمِنْ هُنَا كَانَ

الفهم الصحيح أساس الهداية، وكان سوء التأويل من أعظم أسباب الإنحراف والفتنة؛ إذ قد يحمل النص على غير مقصوده، فيتخذ ذريعة للغلو أو التفريط، فالحاجة ماسة إلى تدبر واع، وفهم منضبط، يقي من الزلل، ويفود إلى الصراط المستقيم. وخاصة أن سوء فهم التصويع—وعدم فهمها فهمًا صحيحًا—أدى إلى انتشار الفرق الضالة والمنحرفة، والأفكار الطائشة، والآراء الهزيلة، التي تشوه صورة الإسلام بالليل والنهار في الداخل والخارج. وخاصة أن هناك تجار الأزمت لا يظهرون إلا في النكبات والمصائب، فيحتكرون أوقات المسلمين بلا خوف ولا حجل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إِذَا لَمْ يُفِدِكَ الْعِلْمُ خَيْرًا *** فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهَلْتَ
وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمَكَ فِي مَهَاو *** فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهَمْتَ

❖ **أولاً: الفهم الفهم عبادة الله!!**

أيها السادة الأخيار: إن نعم الله على الإنسان كثيرة وعديدة، لا يحدها حد، ولا يحصيها عد، ولا يستثنى من عمومها أحد، فهي نعم عامة، سايغة تامة، ظاهرة وباطنة، قال جلّ وعلا: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) [النحل: ١٨]، ويقول جلّ شأنه: (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) **ومن أعظم تلكم النعم:** نعمه العقل والفهم والوعي وحسن التأويل والتدبر، فالعقل والفهم نعمه عظيمة، ومِنَّةٌ كبيرة، أنعم الله بها علينا، ومنّ بها علينا، وفضلنا وميّرنا على سائر المخلوقات بهذه النعمة العظيمة قال جلّ وعلا: (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) [الإسراء: ٧٠]. وقال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، لعلكم تشكرون) [النحل: ٧٨]. وجعله سيّداً في هذا الكون بعقله وفكره وفهمه الصحيح، قال جلّ وعلا: (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، إن في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الجاثية: ١٣].

و الفهم نعمه عظيمة، بها تحلّ كثير من المضلات، وتزال العديد من العقبات، ومن وصية عمّر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما: «الفهم الفهم فيما أدلي إليك؛ مما ليس في قرآن، ولا سنة» صحيح - رواه البيهقي في "السنن الكبرى". قال ابن القيم رحمه الله (صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم

بِهَا عَلَى عَبْدِهِ؛ بَلْ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً - بَعْدَ الْإِسْلَامِ - أَفْضَلُ، وَلَا أَجَلَ مِنْهُمَا... وَصِحَّةُ الْفَهْمِ نُورٌ يَفِذُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْعَيِّ وَالرَّشَادِ).

لِذَا أَمَرْنَا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا بِاسْتِثْمَارِ الْعَقْلِ وَإِعْمَالِهِ فِي فَهْمِ النَّصُوصِ فَهْمًا صَحِيحًا، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [آلِ عِمْرَانَ: ١٩٠]. وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: (أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا، أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [الْحَجَّ: ٤٦]. وَقَالَ تَعَالَى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) [ق: ٣٧]. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: «لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ.»

وَخَصَّ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، وَذَكَرَهُ فِي قُرْآنِهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ((وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) [الأنبياء: ٧٨، ٧٩]. فَذَكَرَ اللَّهُ هَذَيْنِ النَّبِيِّينَ الْكَرِيمَيْنِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا بِالْعِلْمِ وَالْحُكْمِ، وَخَصَّ سُلَيْمَانَ بِالْفَهْمِ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الْمُعَيَّنَةِ. وَالْقِصَّةُ - كَمَا جَاءَتْ فِي الرَّوَايَاتِ: أَنَّ جَمَاعَةً لَهُمْ حَرْثٌ مِنْ عِنَبٍ دَخَلَتْ فِيهِ غَنَمُ قَوْمٍ لَيْلًا، فَأَكَلَتْ الْعِنَبَ وَأَتْلَفَتْهُ؛ فَحَكَّمَ دَاوُدُ: «يَأْنُ يَأْخُذُ صَاحِبُ الْحَرْثِ الْمَاشِيَةَ مُقَابِلَ مَا أَتْلَفَتْهُ؛ لِأَنَّ الْمُتْلَفَ يُعَادِلُ قِيَمَةَ الْغَنَمِ الَّتِي أَتْلَفَتْهُ.» وَحَكَّمَ سُلَيْمَانُ: «يَأْنُ يَأْخُذُ صَاحِبُ الْمَاشِيَةِ الرَّزْغَ، يَقُومُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ، وَيَأْخُذُ صَاحِبُ الْحَرْثِ الْمَاشِيَةَ يَسْتَفِيدُ مِنْ صُوفِهَا وَلَبَنِيهَا وَسِخَالِهَا؛ فَإِذَا تَمَّ إِصْلَاحُ الْمَرْزَعَةِ كَمَا كَانَتْ أَخَذَهَا؛ وَرَدَّ الْمَاشِيَةَ لِصَاحِبِهَا.»

وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُتَمَّى مَلَكَةَ التَّفْكِيرِ الْقَائِمِ عَلَى الْأَدَلَّةِ وَالْبِرَاهِينِ، وَعَلَى التَّفْكِيرِ الرَّاجِحِ السَّلِيمِ: مَا جَاءَ فِي "قِصَّةِ الْمَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اخْتَكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ" عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا؛ جَاءَ الدِّئْبُ فَذَهَبَ يَأْبَنُ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتَيْهَا: "إِنَّمَا ذَهَبَ يَأْبَنُكَ"، وَقَالَتِ الْأُخْرَى: "إِنَّمَا ذَهَبَ يَأْبَنُكَ". فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى. فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَأَخْبَرَتْهُ؛ فَقَالَ: انْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشَقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: "لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هُوَ ابْنُهَا"، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى» رَوَاهُ

البخاري ومسلم. فَالْفَهْمُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمِنَّةٌ كَبِيرَةٌ، عِبَادَ اللَّهِ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ كَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». أَيُّ: يَفْهَمُهُ الدِّينَ فَهَمًا صَحِيحًا، وَيَذْرُكُ مَقَاصِدَهُ وَأَحْكَامَهُ، فَلَا يَضِلُّ الْإِنْسَانُ وَلَا يُسْوَعُ لَهُ نَصٌّ إِلَّا يَمَّا أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.. وَمِنْ هُنَا كَانَ تَعْرِيفُ الْفِقْهِ لُغَةً: الْفَهْمُ، أَيُّ: إِدْرَاكُ أُمُورِ الدِّينِ وَمَعَانِيهِ، وَفَهْمُ النُّصُوصِ عَلَى وَجْهِهَا السَّلِيمِ، لِيَسْتَقِيمَ الْعَمَلُ وَيَحْصَلَ الْهُدَى وَالتَّدْبِيرُ. **وَكَيْفَ لَا؟** وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حَتَّى عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّدْبِيرِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: (أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النِّسَاءُ: ٨٢]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: (أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالًا) [مُحَمَّدٌ: ٢٤]. وَدَعْنَا السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ **الْمُحَمَّدِيَّةَ الْمُطَهَّرَةَ إِلَى الْفَهْمِ الصَّحِيحِ**، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: نَصَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرَبَّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرَبَّ حَامِلٍ فِيهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ]. **وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَائِلًا: «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]، إِشَارَةً مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّ الْفِقْهَ فِي الدِّينِ لَيْسَ مُجَرَّدَ حِفْظٍ أَوْ رَوَايَةٍ، بَلْ هُوَ فَهْمٌ عَمِيقٌ، وَنَظَرٌ ثاقِبٌ، يُنَزِّلُ النُّصُوصَ مَنَازِلَهَا وَيَضَعُهَا فِي سِيَاقِهَا الصَّحِيحِ، فَيَقْدِرُ مَا يُزْرَقُ الْعَبْدُ مِنْ فِيهِ صَحِيحٌ، يَكُونُ قُرْبَهُ مِنَ الْحَقِّ وَبُعْدُهُ عَنِ الزَّلْلِ وَالْأَنْجَرَاكِ. وَحَدَّرْنَا نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ **الْفَهْمِ الْغَلَطِ الْعَقِيمِ**، وَأَنَّهُ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، حَتَّى يَظْهَرَ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ وَهُوَ لَيْسَ بِعَالِمٍ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِ الْعُلَمَاءِ **الرُّبَانِيِّينَ الْمُخْلِصِينَ**، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْضِلُ الْعِلْمَ انْتِرَاعًا يَنْتَرَعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَفْضِلُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَنْتَرِكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ]. فَهَذَا الْحَدِيثُ يُظْهِرُ أَهْمِيَّةَ **الْعِلْمِ الصَّحِيحِ** وَحِفْظِهِ عِنْدَ حَمَلَتِهِ الْمُخْلِصِينَ، وَأَنَّ ضَعْفَهُ وَهَلَاكَ الْعُلَمَاءِ يُؤَدِّي إِلَى ظُهُورِ الْفِتَنِ وَالضَّلَالِ.

وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَرُوا فِي فَهْمِهَا *** فَأَتُوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْقَانِ حَتَّى زَلَّتْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْدَامِ ** وَضَلَّتْ عَدِيدٌ مِنَ الْأَفْهَامِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

❖ **ثَانِيًا: الْخَطَرُ الْخَطَرُ مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ عِبَادَ اللَّهِ!!!**

أَيُّهَا السَّادَةُ الْأَخْيَارُ: سُوءُ الْفَهْمِ وَسُوءُ التَّأْوِيلِ دَاءٌ اجْتِمَاعِيٌّ خَطِيرٌ، وَوَبَاءٌ خَلْقِيٌّ كَبِيرٌ، مَا فَشَا فِي أُمَّةٍ إِلَّا كَانَ تَذِيرًا لِهَلَاكِهَا، وَمَا دَبَّ فِي أَسْرَةٍ إِلَّا كَانَ سَبَبًا لِفَنَائِهَا، فَهُوَ مَصْدَرٌ لِكُلِّ عَدَائٍ وَيَتَّبِعُ لِكُلِّ شَرٍّ وَتَعَاسَةٍ، وَسُوءُ الْفَهْمِ آفَةٌ مِنْ آفَاتِ الْإِنْسَانِ، مَدَخَلٌ كَبِيرٌ لِلشَّيْطَانِ، مَدْمِيزٌ لِلْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ، يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْإِخْوَةِ، يَحْرِمُ صَاحِبَهُ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ، وَيَدْخُلُهُ النَّيْرَانَ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ الْجَنَانِ، فَالْبُعْدُ عَنْهُ خَيْرٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

فَالْخَطَرُ كُلُّ الْخَطَرِ فِي الْعُقُولِ الَّتِي تُسَيِّئُ فَهْمَ تِلْكَ النَّصُوصِ، وَاللِّسَانِ الَّتِي تُحَرِّفُ مَعَانِيهَا، وَالْقُلُوبِ الَّتِي تَتَّبِعُ الْمُتَشَابِهَ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَدِّثًا: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) [آلِ عِمْرَانَ: ٧]، فَتَرَاهُمْ يَأْخُذُونَ بِبَعْضِ الْحَقِّ وَيَتْرَكُونَ بَعْضَهُ، وَيَحْمِلُونَ الْكَلَامَ عَلَى غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ.

فَعَلَيْكَ يَا لَوْحِيَيْنِ لَا تَعْدُوهُمَا *** وَاسْأَلْكَ طَرِيقَهُمَا بِفَهْمٍ جَيِّدٍ فَإِذَا تَعَدَّرَ فَهْمٌ نَصْرًا غَامِضٍ *** فَاسْتَفْتِ أَهْلَ الذِّكْرِ كَالْمُسْتَشِيرِ
قال الله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣]. **وَلَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِينَ، خِيَارَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا، وَتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّانِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَّةً، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهِينِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا يَوْجِيهِ وَهَوْلًا يَوْجِيهِ)). وَسُوءُ الْفَهْمِ وَسُوءُ التَّأْوِيلِ يُؤَدِّي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْهَلَاكِ وَالذَّمِّ وَالْخِزْيِ وَالْعَارِ، إِذَا خَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا كَانَ يَمْشِي مَعَ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا لَيْلًا، لِأَنَّهُ لَوْ شَكَّ هَذَانِ الصَّحَابِيَّانِ فِي نَبِيِّهِمَا لَوْقَعَا فِي الشَّرِّ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ فَعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكُنُهَا فِي حُجْرَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ بِرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رَسَلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتِ حُيَيٍّ»، قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَفْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا - أَوْ قَالَ: شَرًّا» **قَالَ**

ابن القيم رحمه الله: سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام قديماً وحديثاً، وأصل كل خلاف في الأصول والفروع. ثم قال ابن القيم: وهل أوقع القدرية - النفاة منهم والجبرية - والمزجئة والخوارج والمعتزلة والروافض وسائر طوائف أهل البدع فيما وقعوا فيه إلا سوء الفهم عن الله ورسوله؟! مرّ على الخوارج عبد الله بن حباب بن الارت رضوان الله عليه وعلى أبيه مع امرأته، فسأل الخوارج عبد الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان الخوارج قد كفروا علياً يدعوى أنه حكم الرجال في كتاب الله، والله جلّ وعلا يقول: (إن الحكم إلا لله) (الأنعام: ٥٧). فأنظر كيف يستشهد هؤلاء بالآيات! فلما سألوا عبد الله بن حباب عن علي أتى عليه بما هو أهله، فلما أتى عبد الله على علي قتل الخوارج وذبحوه كما تذبح النعجة، ثم سألوا امرأته عن علي فأنتت عليه بما هو أهله، فذبحوها كما تذبح النعجة، وبقرؤا بطنها، واستخرجوا جنينها من بين أحشائها. ومرّ هؤلاء المجرمون وأيديهم ملطخة بدماء عبد الله وامراته على حائط للنخيل سقطت بعض تمراته خارج أسواره، فأنحتى أحدهم ليلتقط ثمرة ليأكلها، فقالوا: مه مه! ماذا تصنع يا رجل؟! كيف تستجل لنفسك ثمرة لم ياذن لك صاحبها؟! وأيديهم ملطخة بدماء عبد الله بن حباب وامراته. فسوء الفهم عن الله ورسوله قضية من أخطر القضايا. لذا قال الله جلّ وعلا: (إن شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون) (الأنفال: ٢٢-٢٣).

لله في الآفاق آياتٌ لع *** ل أقلها هو ما إليه هذا

ولعل ما في النفس من آياته *** عجب عجب لو ترى عيناكا

والكون مشحونٌ بأسرار إذا **** حاولت تفسيراً لها أعياكاً

وأرجئ بقیة الحديث إلى ما بعد جلسة الاستراحة. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم الخُطبة الثانية الحمد لله، ولا حمد إلا له، وباسم الله ولا يُستعان إلا به. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد

❖ **ثالثاً وأخيراً: الاختكار وتجار الأزمت.**

أيها السادة: لقد حدت وزارة الأوقاف أن تكون الخُطبة الثانية عن الاختكار، و **الاختكار** داء عضال حذر منه سيّد الأنام صلى الله عليه وسلم، فهو يضُرُّ بالأمة ويُفسد العرقان ويُفتح باب الظلم والظلمة

فِي التَّعَامَلَاتِ، وَجَعَلَ النَّهْيَ عَنْهُ مِنَ السُّنَنِ الْمُحْكَمَةِ لِجَفْظِ أَمْوَالِ
 النَّاسِ وَحَقِّهَا، **وَالْمُحْتَكِرُ يَأْكُلُ** أَمْوَالَ النَّاسِ بِالاضْطِرَارِ لَا بِالرِّضَا
 قَالَ جَلَّ وَعَلَا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا
 أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ
 رَحِيمًا) [النساء: ٢٩]. **وَكَيفَ لَا؟** وَلَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُحْتَكِرَ مَلْعُونٌ، وَالْمَلْعُونُ هُوَ الْمَطْرُودُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ
 تَعَالَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ
 وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]. وَبَيَّنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ
 اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ هَوْلَاءِ الْمُحْتَكِرِينَ وَالْعَشَّاشِينَ، فَجَاءَ فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ
 أَحْمَدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «مَنْ اخْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ
 بَرِيءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَرِيَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلٌ عَزِصَةٌ أَصْبَحَ
 فِيهِمْ امْرُؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرِيءَ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ. وَلَقَدْ
 جَاءَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ أَدْخَلَ فِي أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا ظُلْمًا
 وَعُدْوَانًا لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: ثَقُلَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، فَدَخَلَ
 إِلَيْهِ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ يَعُودُهُ، فَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ
 الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُفْعِدَهُ
 يَعْظُمُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. «رَوَاهُ الطَّبَايِسِيُّ فِي مَسْنَدِهِ. فَالاحتكارُ
 مِنْ أخطرِ الآفاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَصْدِي لَهَا الْإِسْلَامُ
 بِحَرْمِ شَدِيدٍ، لَا سِيَّما فِي أَوْقَاتِ الْأَزْمَاتِ وَالشَّدَائِدِ؛ **وَكَيفَ لَا؟** وَهَنَّاكَ
تُجَارُ الْأَزْمَاتِ يَسْتَعْلُونَ حَاجَةَ النَّاسِ، فَكَثُرَ الْجَشَعُ وَالطَّمَعُ
 وَالاسْتِغْلَالُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَخَاصَّةً أَنَّ تُجَارَ الْيَوْمِ إِلَّا مَا
 رَحِمَ اللَّهُ قَدْ مَاتَ إِحْسَاسُهُمْ، وَدُفِنَتْ مَشَاعِرُهُمْ وَقَلَّ إِيْمَانُهُمْ، وَتَسَوَّأَ
 رَبُّهُمْ، وَلَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَمُوتَ النَّاسُ جُوعًا، وَلَا يُبَالُونَ بِغُلُوِّ الْعَيْشِ الَّذِي
 يَعْصِرُ النَّاسَ عَصْرًا، وَلَا يَتَأَلَّمُونَ لِلْحَاجَةِ الَّتِي أَرْهَقَتْ مُضَاجِعَ النَّاسِ
 بِاللَّيْلِ وَأَرْهَقَتْهُمْ بِالنَّهَارِ، هُمْ تُجَارُ حُرُوبٍ وَأَزْمَاتٍ.
يَا تُجَارُ الْأَزْمَاتِ، يَا تُجَارُ الْجَشَعِ وَالطَّمَعِ وَالاسْتِغْلَالِ وَالِاخْتِكَارِ وَالرِّبَا،
 هَلْ تُزَعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قُلُوبِكُمْ؟ - لَا، قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى اعْلَمُوا بِأَنَّ الْجَزَاءَ
 مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، كَمَا تَدِينُ ثَدَانُ، وَمَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ، فَإِذَا حُرِّمَتْ
 الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَا تَلُومَ إِلَّا نَفْسَكَ.

يَا تُجَارَ الْأَزْمَاتِ، يَا تُجَارَ الْجَشَعِ وَالطَّمَعِ وَالْاِسْتِغْلَالَ وَالْاِخْتِكَارِ وَالرَّبَا، هَلْ صَارَ الدِّينَارُ وَالذِّرْهَمُ مَعْبُودًا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى؟ لَا، قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى. ((تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الذِّرْهَمِ)) [رواه البخاري]. وَكَمَا ذَكَرَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ حَدِيثِ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي»، قَالَ: «وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ». قَالَ اللَّهُ سَائِلُكُمْ عَمَّا زَادَتْهُ عَنْ حَاجَتِكُمْ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ، وَالْحَلَالِ حِسَابٌ وَالْحَرَامِ عَذَابٌ. وَكَمَا فِي صَحِيحِ الشَّيْخَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ». فَلَا تَغْتَرُّوا بِمَا آتَاكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.

فَمِنْ أَهْمِ سِمَاتِ الْمُجْتَمَعَاتِ الرَّاقِيَةِ فِي الْأَزْمَاتِ وَغَيْرِهَا أَنْ تَكُونَ مُتْرَابِطَةً مُتَمَاسِكَةً فِي بُنْيَانِهَا، يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَصَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ إِذْ يَقُولُ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى». «فِي الشَّدَائِدِ تَظْهَرُ مَعَادِنُ الرِّجَالِ، وَالْأَزْمَاتُ تَتَطَلَّبُ التَّرَاحُمَ وَلَا الْاِسْتِغْلَالَ، وَمَنْ قَلَّلَ هَامِشَ رَبِحِهِ تَخْفِيفًا عَلَى النَّاسِ وَيَتَبَسَّرًا عَلَيْهِمْ، وَلَا سِيَّمًا فِي وَقْتِ الْأَزْمَاتِ، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ يَثَابُ عَلَيْهَا وَيُوجَرُ عَلَى فِعْلِهَا. فَالْمُجْتَمَعُ فِي حَاجَةٍ إِلَى التَّعَاوُنِ وَالتَّكَاوُلِ وَالتَّكَامُلِ وَالتَّرَابُطِ، فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ»

إِنَّ الرِّجَالَ وَإِنْ قَلَّتْ، مَعَادِنُهَا ذَهَبًا***عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَطْلُبُهَا فِي الْحَالِ تُلْقَاهَا تَحْمِلُ إِلَيْكَ الْخَيْرَ أَيَّمَا رَحَلَتْ*** وَتَذُودُ عَنْكَ صِعَابًا كُنْتَ تَخْشَاهَا حَفِظَ اللَّهُ مِصْرَ مَنْ كَيْدَ الْكَائِدِينَ، وَشَرَّ الْفَاسِدِينَ، وَحِفْدَ الْحَاقِدِينَ، وَمَكْرَ الْمَاكِرِينَ، وَاعْتِدَاءَ الْمُعْتَدِينَ، وَإِرْجَافِ الْمُزْجِفِينَ، وَخِيَاةِ الْخَائِبِينَ.

د/ مُحَمَّدٌ حَزْرُ

إِمَامُ بَوْرَازَةِ الْأَوْقَافِ